مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 22 / العدد: 02 / السنة: 2023 ص ص:373-390

قيود الختام والتملّك وأثرها في كتابة تراجم العلماء: ترجمة الشيخ محمد بن خالد العُنَّابي –أنموذجا–

Closing and possession restrictions and their impact on scholars' biographies writing: Sheikh Mohammad bin Khaled Al-Onnabi biography –As a Model-

إسماعيل زيـان

أستاذ تعليم متوسط (الجزائر)، ziane_ismail2005@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023 /01/14 **تاريخ القبول:** 2023/06/06 **تاريخ النشر:** 2023/06/16

ملخص:

تقدّم هذه الورقة دراسة تطبيقية لقيود الختام والتملّك في الكتاب المخطوط، بغية استعمالها كمادة علمية في كتابة تراجم العلماء، وذلك من خلال معرفة الحركة العلمية للعالم المتَرْجَمِ له، ورحلاته العلمية التي قد تؤرّخها الكتب التي اشتراها أو نسخها بعد كتابته لقيود التملّك أو الختام. لذا فإنّ هذه الورقة ستطبّق علم الكوديكولوجيا على بعض الكتب المخطوطة التي اقتناها ونسخها أحد الشيوخ الجزائريين الذين هاجروا إلى المشرق، حيث استوطن مصر، ثمّ رحل إلى بيت المقدس واستقرّ به في نهاية القرن الثاني عشر الهجري، إنّه الشيخ محمد بن خالد العنّابي. لذا سأحاول في هذه الورقة أن أستفيد قد الإمكان من خوارج النصّ المتعلّقة بالكتب المخطوطة التي كان يمتلكها الشيخ محمد بن خالد العنّابي، مثل قيود التملّك أو الختام، أو التحريرات التي يكتبها على هوامش الصفحات.

كلمات مفتاحية: علم الكوديكولوجيا؛ قيود التملّك والختام؛ محمد بن خالد العنّابي؛ مخطوط؛ الجزائر.

Abstract:

This paper presents an applied study of the possession and closing restrictions in the manuscript, in order to use it as scientific material in scholars' biographies writing, through knowledge of the scientific movement of the scholar, and his scientific journeys that may be dated by the books he bought or copied after writing the possession or closing restrictions. Therefore, this paper will apply the science of codicology to some manuscript books that were acquired and copied by one of the Algerian Sheikhs who immigrated to the East, were he settled in Egypt, then he moved to Qoudiss at the 11th century AH, he is Shiekh Mohammad bin

Khaled Al-Onnabi. Therefore, I will try to benefit as much as possible from the outside of the text related to the manuscript that Mohammad bin Khaled Al-Onnabi owned, such as possession or closing restrictions, or edits that he writes on the margins of the papers.

Keywords: Codicology; Possession and closing restrictions; Mohammad bin Khaled Al-Onnabi; Manuscript; Algeria.

مقدمة:

لقد لعبت كتب التراجم دورا مهمّا في التأريخ لحياة العلماء وسيرهم، ومساراتهم ورحلاتهم العلمية، وأصبحت كتب التراجم مصدرا مهمّا في الإحاطة بالتاريخ الثقافي والحضاري لكل عصر من العصور، حيث استعمل كتّاب التراجم عدّة مناهج لكتابة سير العلماء من أهّمها المعاصرة، حيث انبرى طلبة العلم لكتابة سير شيوخهم وآثارهم العلمية، وذلك بعد ملازمتهم لهم، ثمّ انتقلت تلك الكتب من جيل إلى جيل، وأصبح التعويل فيما بعد بالنسبة للمؤرّخ على مقابلة تلك الكتب والمقارنة بينها كي يحيط بالترجمة الوافية لكلّ عالم يريد دراسة حياته.

لكن مع وجود كلّ تلك الكتب التي عنيت بالتراجم، إلّا أنّ الإلمام بحياة كلّ عالم أو شيخ كان يشوبه بعض القصور، لهذا لم تعد الدراسات مرتكزة على تلك الكتب لوحدها، بل بدراسة الآثار التي يبقيها العالم وراءه من كتب ورسائل، والتي أصبحت فيما بعد مادة علمية لدراسة حياته، لا لذاتها، بل للمعلومات المادية التي تحويها تلك الكتب والرسائل المخطوطة، ومن هنا اسْتُعْمِلَ ما يسمى بعلم "الكوديكولوجيا"، والذي جاء ليهتمّ بشكل وصناعة المخطوط من خلال دراسته دراسة مادية تعتمد على الجوانب الخارجية منه، كنوع الورق والحبر، وخوارج النّصّ كقيود الختام والتملّك والوقف، وإجازات القراءات والسماعات، والتعليقات الموجودة في بداية المخطوط أو في أواخره.

ومن هذا المنطلق تأتي هذه الورقة البحثية لوضع دراسة تطبيقية، تعتمد أساسا على دراسة قيود الفراغ والتملّك التي كتبها أحد الشيوخ الجزائريين، وهو الشيخ محمد بن خالد العنّابي، وذلك من أجل إفراد ترجمة وافية له بعد جمع الكتب التي نسخها أو اقتناها في حياته، ولهذا فسوف تكون إشكاليات البحث كالتالي:

- ما هو علم الكوديكولوجيا؟

- ما المقصود بقيود الختام وقيود التملّك في المخطوط؟ وما هو أثرها في كتابة التراجم؟
- من هو الشيخ محمد بن خالد العنابي؟
- كيف كانت حياته العلمية خارج الجزائر؟
- ما هي آثاره العلمية التي خلّفها؟

1– الدراسة المادية للمخطوط

1.1– علم الكوديكولوجيا:

بالفرنسية (**La codicologie**)، وهو علم يعنى بدراسة الشكل المادي للكتاب المخطوط، حيث يعتبره أثرا من الآثار، مهتمّا ابتداءً بدراسة العناصر المادية المكوّنة له، بصرف النظر عن نصّ الكتاب، ومن ذلك دراسة حوامل الكتاب كورق البردي والكاغد، أو المواد كالأقلام والألوان والأصباغ، وشكل الكرّاسات وأحجامها، وما يدخل في الشكل الجمالي للمخطوط من تذهيب وتجليد أو تسفير (**فرونسوا، 2005م، الصفحات 13–14**).

ثمّ يأتي جانب آخر من هذا العلم، وهو دراسة خوارج النصّ كحرود المتن التي تشتمل على اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه، أو قيود التملّك وعلامات الوقف وصيغه، إضافة إلى الفوائد الجانبية المتمثّلة في السماعات والإجازات (**فرونسوا، 2005م، صفحة 14**)، وبذلك تتضّح الصورة الإجمالية للظروف التي كُتِبَ فيها المخطوط، والتطوّرات التي طرأت عليه منذ نسخه إلى غاية وصوله إلينا بتلك الحالة.

2.1– قيد الختام:

اختلفت أسماء هذا القيد، منها "قيد الفراغ"، ومنها "قيد النسخ"، ومنها "حرد المتن"، وكلّ تلك الأسماء تصبّ في معنى واحد، وهو العبارة الأخيرة التي ينهي بها الكاتب أو الناسخ عملية النسخ، مزوّدة إيّانا بمعلومات قيّمة حول ما يتعلّق بهويّة الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه، وقد تحفظ لنا تلك العبارة أيضا عنوان الكتاب والوقت المستغرق من بدء الكتابة حتى الانتهاء منها (**جهداني، 2006م، الصفحات 133–143**).

3.1- قيد التملّك

كانت أسواق الورّاقين معروفة قديما، حيث كثر فيها بيع الكتب وما يشملها من حبر وورق وجلد، وكلّما اشترى أحدهم كتابا من تلك الأسواق أو من بعض الأشخاص، كان يضع قيدا باسمه على واجهة الكتاب، فكان ذلك القيد بمنزلة إثبات عرفيا لملكية المخطوط، وهذا ما كان يفعله العلماء وطلبة العلم لكتبهم، حيث كانوا يذكرون أسماءهم وتواريخ دخول تلك المخطوطات في ملكهم، وكانت أغلب تلك القيود تكتب في الصفحة الأولى، وتنوعت صيغها، منها: "تملّكه العبد"، "ملكه الفقير"، "في نوبة العبد"، إلى غير ذلك من الصيغ التي توحي بملكية الشخص للمخطوط (**فؤاد سيد، 1997م، صفحة 454**).

4.1- قيود الفراغ والتملّك وأثرها في كتابة التراجم

لا شكّ أنّ دراسة قيود التملّك والنسخ لها فائدة عظيمة في توفير مادة علمية لكتابة التاريخ، لا سيّما ما يتعلّق بتراجم العلماء، فبقيود التملّك أو النسخ نستطيع أن نهتدي إلى الفنون التي كان يميل إليها العالم أو الشيخ وذلك من خلال جمع الكتب التي تملّكها، ثمّ تَصَوُّرِ الخزانة التي كان يملكها، بل إنّ قيود التملّك تفيد في معرفة الحياة الاجتماعية التي كان يعيشها ذلك العالم أو الشيخ، وهل كانت الكتب التي امتلكها في خزانته من النوادر أم من الكتب العادية، وبذلك تُجْمَعُ بعض القرائن لمعرفة حالته المادية آنذاك.

أمّا من الجانب التاريخي، فالقيود تساعد في معرفة المسار العلمي لأيّ عالم، وذلك من خلال معرفة البلدان التي زارها وتواريخها، وذلك من خلال قراءة الكتب التي نسخها فيها أو اشتراها بها، فكم من عالم كُتِبَ في ترجمته أنّه زار البلد الفلاني، وذلك بعد الاطلاع على القيود التي كان يكتبها، ولولا تلك القيود ما استطاع المؤرّخون معرفة ذلك، خاصة إذا لم تُذكر تلك الزيارة في كتب التراجم الأولى، بل إنّ تلك التملّكات تساعد في معرفة رحلة النسخة، وانتقالها من يد إلى يد، أو من بلد إلى بلد، وتساعد أحيانا في تحديد تاريخ تقريبي للنسخ التي لا يعرف لها تاريخ نسخ، وتعطي صورة للحركة العلمية ومدى انتشار الثقافة، بل ومدى عمقها في عصر من العصور (**الحلوجي، 1989م، صفحة 173**).

2– الشيخ محمد بن خالد العنابي

1.2– مولده ونشأته

هو الشيخ محمد بن خالد بن محمد بن سعيد، العنّابي (**الأزهرية، رقم 1905 مجاميع/97451 المغاربة، صفحة 302**)، الجزائريّ، المالكيُّ. وُلِدَ على ما يبدو بعنّابة، ولا يوجد في المصادر ذكرٌ لسنة ولادته، إلّا أنّ المرجّح أنّه ولد في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، حيث نشأ ببلده عنابة، وأخذ على شيوخها.

2.2– شيوخه

صالح بن الحسين الكواش

هو صالح بن حسن الكوّاش (أي الفرّان)، أحد علماء تونس ومدرّسيها. ولد بتونس سنة 1137هـ، وتعلم بها، حيث أخذ العلم على عدّة علماء منهم الشيخ حسونة الترجمان، والشيخ محمد الغرياني، والشيخ عبد الكبير الشريف، والشيخ حمودة الريكلي، وغيرهم. وبعد ذلك التحصيل ولّي مشيخة المدرسة المنتصرية، ثم أصبح مدرّسا بجامع الزيتونة، لكن مع وصول الباشا علي إلى الحكم، ضاق الحال على الشيخ صالح، فخرج من تونس متنكّرا، وتوجّه إلى طرابلس الغرب، ومنها إلى أزمير ثم إلى اسطنبول، وبعد زوال حكم الباشا علي، رجع إلى بلده تونس، وتوفي بها سنة 1218هـ، مخلّفا بعض الآثار منها: «شرح الصلاة المشيشية»، و شرح قصيدة الأمير محمد الرشيد باي (**محفوظ، 1994م، الصفحات 4/181–185**).

الشيخ أحمد السوسي:

هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن سعيد بن أحمد، السكتاني، السوسي، نسبة إلى السوس بالمغرب الأقصى، العالم الأديب. ولد بتونس ونشأ بها، فدرس على يد والده الشيخ عبد الله وعلى الشيخ محمد الغرياني، ومع تدرّجه في العلم، أعاقه المرض عن التنقّل والتدريس بجامع الزيتونة، فقبع في بيته وانكبّ على المطالعة في مكتبته، وكان يحب اقتناء الكتب، ومن ذلك أنّه كان يرسل في كل سنة قائمة بأسماء الكتب النادرة إلى الشيخ مرتضى الزبيدي ليشتري له ما يطلب منها، وكان ذلك ديدنه حتى وافته المنية سنة 1193هـ، وقد خلّف بعض الآثار منها «حاشية على شرح السنوسي على أم البراهين» (**محفوظ، 1994م، الصفحات 3/84–85**).

محمد مرتضى الزبيدي:

هو محمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، أبو الفيض، الحسيني، العلوي، الزبيدي. ولد سنة 1145هـ في بلجرام، وهي قصبة من وراء نهر جنج الهند. درس الحديث على يد محمد فاخر بن يحيى، والشاه ولي الله الدهلوي، ثم ارتحل إلى زبيد وأقام بها مدة طويلة حتى لقّب بالزبيدي. دخل إلى مصر سنة 1167هـ، وأخذ على علمائها، فذاع صيته واشتهر بسعة العلم والاطّلاع، فكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والمغرب، والسودان وفزان والجزائر، واستجازوه، وألّف عدّة كتب من أشهرها شرحه للقاموس المحيط الذي ألّفه بمصر سنة 1185هـ في عشر مجلدات. مات الزبيدي سنة 1205هـ بالطاعون، ودفن بالضريح المنسوب للسيّدة رقية بنت عليّ بن أبي طالب بمصر، مخلّفا عدّة مؤلفات مهمّة منها: «إتحاف السادة المتقين»، و«عقود الجواهر المنيفة في أدلّة مذهب الإمام أبي حنيفة»، و«المعجم المختص» وغيرها من الكتب (**الكتاني، 1982م، الصفحات 2/526-549**).

محمد بن بدير المقدسي:

هو محمد بن محمد بن محمود بن حبيش، المقدسي، المعروف بابن بدير، عالم فاضل. أخذ عن الشيخ عيسى البراوي، والشيخ محمد الفارسكوري، والعلامة الملوي والعلامة الشيخ أحمد الجوهري، والشيخ محمد الحفني والشيخ أحمد الراشدي والشيخ أحمد الدمنهوري، والشيخ علي الصعيدي والعلامة محمود الكردي، والشيخ مصطفى أبو النصر وغيرهم. مات سنة 1220هـ عن نيف وستين سنة (**البيطار، 1993م، صفحة 1351**)، مخلّفا بعض الآثار منها: «قلنسوة التاج» (**البغدادي، صفحة 240/4**)، و«منظومة رائية في أسماء أهل بدر»، و«عقد الدر في كشف الضر» (**كحالة، صفحة 40/3**)، وغيرها من الرسائل.

3.2- رحلاته في طلب العلم:

إلى تونس:

يبدو أنّ الشيخ محمد بن خالد العنّابي قد انتقل مبكرا من عنابة، حيث ذهب إلى تونس واستقرّ بها مدّة، وهذا ما ذكره شيخه وصاحبه مرتضى الزبيدي حيث قال إنّ الشيخ محمد بن خالد كان يميل إلى الزهد لدرجة أنّه كان يلتقط الرقاع من السوق، وفي أثناء مكثه بتونس أخذ على علمائها، فحضر دروس الشيخ الشيخ صالح بن الحسين الكوّاش، ولازمه في دروسه، وقرأ

كتاب «الشفا» على الشيخ أحمد السوسي، ثمّ جلس بـ«غار الملح» مدّة يقرئ بها الأطفال، وهي قرية على مقربة من تونس (**الزبيدي، 2006م، الصفحات 691–692**).

إلى مصر:

بعد تلك السنوات التي قضاها الشيخ محمد بن خالد في تونس، عزم على الحجّ سنة 1196هـ، فدخل مصر، وأخذ على بعض علمائها منهم الشيخ محمد مرتضى الزبيدي، وفي ذلك يقول: «واجتمعتُ به سنة ستٍّ وتسعين، في يوم خمسة عشر من رمضان، وسمعتُ منه شيئا قليلا في هذه السنة، لاشتغالنا بالسير إلى الحج» (**الأزهرية، رقم 1905 مجاميع/ 97451 المغاربة، صفحة 336**).

وبعد أنّ أدّى الشيخ محمد بن خالد ما عليه من الفريضة رجع إلى مصر ولازم شيخه الزبيدي، وعن ذلك يقول الزبيدي: «ثمّ ورد علينا مصر سنة 1197، فسمع منّي حديث الرحمة، وحضر دروسي في منزلي، ولازمني في أكثر الأوقات، وكتب أشياء من تقاريري، وحصّل نسخة من شرحي على الحزب الكبير للشاذلي، وقرأه عليَّ، وأجزتُ له، وحجّ من طريق البحر، وعاد إلى مصر، ولازمني بعد ذلك» (**الزبيدي، 2006م، صفحة 392**)، وهذا ما أكّده أيضا الشيخ محمد بن خالد حيث قال: «وأجازني سيدي وأستاذي بعد قراءتي عليه حزب البحر والحزب الكبير. قال بلسانه سيدي محمد مرتضى: أجزتُكَ –وأنا الفقير محمد بن خالد العنابي– وقرأتُ على سيدي محمد مرتضى شيئا من البخاري، كتاب الإيمان بتمامه وكتاب العلم، وبعضا من الحكم لابن عطاء الله بشرح ابن عباد، وسمعت منه شيئا قليلا من شرحه للإحياء، وذلك سنة 1197» (**الأزهرية، رقم 1905 مجاميع/ 97451 المغاربة، صفحة 336**).

ويبدو أنّ العلاقة قد توطّدت بين الشيخ محمد بن خالد العنابي والشيخ مرتضى الزبيدي، ما جعل هذا الأخير يترجم له في كتابه «المعجم المختص» الذي جمع فيه شيوخه وأصحابه الذين أخذ عنهم أو جالسهم، وقد أثنى الشيخ مرتضى الزبيدي على الشيخ محمد بن خالد، فوصفه بالصاحب والشيخ الفاضل الناسك، وقال إنّه يملك فهمًا متينًا، وذوقًا جيّدًا مع ميل إلى الخلوة (**الزبيدي، 2006م، صفحة 392**). بل إنّ الشيخ محمد بن خالد ذكر أنّه لمّا قدم من الحج، أنشده الشيخ محمد مرتضى بيتا فقال (**الأزهرية، رقم 1905 مجاميع/ 97451 المغاربة، صفحة 305**):

لقـــد أتـــى من جانب الأبواب محمد بـــن خـــالد العنّابـــي

إلى بيت المقدس:

بعد ملازمة الشيخ محمد بن خالد لدروس الشيخ مرتضى الزبيدي، عزم على الانتقال إلى الشام بنيّة زيارة قبر الشيخ إبراهيم بن أدهم، ثمّ رجع بعد ذلك إلى بيت المقدس واستقر هناك (**الزبيدي، 2006م، صفحة 692**)، ويبدو أنّه دخل بيت المقدس سنة 1198هـ، ويدلّ على ذلك قيد فراغه من نسخ كتاب، كتب فيه: «تمّ كتبه على يد محمد بن خالد العنابي بالمسجد الأقصى سنة 1198هـ، وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما» (**الأزهرية، رقم 1905 مجاميع/ 97451 المغاربة، صفحة 184**).

لازم الشيخ العنّابي علماء بيت المقدس، ومن بينهم الشيخ محمد بن بدير المقدسي، فأخذ عنه العلم، وقيّد منه رسالتين بخطّ يده في المسجد الأقصى، الأولى «منهج الحق المطلوب في تنزيه الكريم يوسف بن يعقوب»، والثانية «رسالة في بيان براءة سيدنا يوسف عليه السلام»، كلاهما سنة 1199هـ، حيث كتب في قيد الفراغ للرسالة الثانية: «تمّ في أوّل شعبان سنة 1199هـ بالمسجد الأقصى على يد محمد بن خالد العنابي» (**الأزهرية، رقم 1958 مجاميع/ 97504 المغاربة، صفحة 62**).

وقد كان الشيخ محمد بن خالد العنابي مواظبا على نسخ الكتب في المسجد الأقصى ومن ذلك كتاب «جمع النهاية في بدء الخير والغاية» لابن أبي جمرة، وكان ذلك في ذي الحجة من سنة 1200هـ، حيث كتب في قيد الفراغ: «تمّ على يد العبد الفقير محمد بن خالد بن محمد ابن سعيد العنابي، غفر الله له ولوالديه ولمشائخه وللمؤمنين والمؤمنات، وصلى الله على سيدنا محمد. وكانت كتابته بالمسجد الأقصى سنة 1200هـ، وتمّ يوم الاثنين بعد العصر يوم 23 من ذي الحجة» (**الأزهرية، رقم 1905 مجاميع/ 97451 المغاربة، صفحة 302**).

ويبدو من تتبّع الكتب والتقييدات التي خطّها الشيخ محمد بن خالد بيده، أنّه مكث مدّة طويلة في بيت المقدس، حيث نجده قد نسخ كتابا في رواية حفص لموسى بن قاسم المغربي المالكي سنة 1211هـ، وكتب في قيد الفراغ: «تمّ نسخه بالمسجد الأقصى الشريف، على يد الفقير إلى رحمة الله تعالى وعفوه، محمد بن خالد العنابي، بعد عصر يوم الجمعة، وذلك يوم أربعة وعشرين من شهر الله المحرم سنة 1211هـ» (**الأزهرية، رقم 1905 مجاميع/ 97451 المغاربة، صفحة 157**)،

وهذا يشير إلى أنّ الرجل قد وجد في بيت المقدس راحة له ومستقرّا له، خاصة وأنّه كان مجاورا للمسجد الأقصى، وهذا ما ذكره أيضا مرتضى الزبيدي حيث قال إنّه استقرّ ببيت المقدس، وهو إلى الآن باق هناك (**الزبيدي، 2006م، صفحة 692**).

إلى بغداد:

كان الشيخ محمد بن خالد العنابي فيما يبدو قادريَّ الطريقة، ويعضد ذلك قوله في صيغة تملّكه لأحد الكتب: «ملّكه الله لعبده الذي كتبه بيده، الفقير محمد بن خالد العنابي المغربي، اللهم انفعنا به بجاه الشيخ عبد القادر الجيلاني قدّس الله روحه» (**الأزهرية، رقم 1905 مجاميع/ 97451 المغاربة**)، ولهذا نجده ينتقل إلى بغداد سنة 1218هـ، حيث زار قبر الشيخ عبد القادر الجيلالي، وقرأ في حضرته –على حدّ وصفه– جزءا من صحيح البخاري، تبرّكا فيما يبدو بشيخ الطريقة، وقد كانت رحلة الشيخ محمد بن خالد إلى بغداد حافلة، حيث اقتنى بها بعض الكتب، من أهمّها بعض الأجزاء من صحيح البخاري (**الأزهرية، رقم 6058 حديث/ 93147 المغاربة، صفحة 206**)، وكتاب المجتبى للنسائي (**الأزهرية، رقم 6147 حديث/93236 المغاربة**).

وقد وجدتُ للشيخ محمد بن خالد العنّابي تعليقا في هامش إحدى صفحات كتاب «الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية» الذي نسخه بيده، يعرّف فيه منطقة الجزيرة التي ينسبُ إليها الإمام الجزري، ثم ذكر مكثه بمدينتي الموصل وبغداد، فقال: «بين الجزيرة والموصل خمس مراحل، والموصل بين الجزيرة وبغداد، ومن الموصل إلى بغداد عشرة أيّام. تحريرٌ من كاتبه محمد العنّابي الذي دخل الموصل، ومكث أيّاما كثيرة، ودخل بغداد ومكث فيها أيضا» (**الأزهرية، رقم 1905 مجاميع/ 97451 المغاربة، صفحة 160**).

4.2– وفاته:

للأسف، لم أقف على سنة أو مكان وفاته، لكنّ الرّاجح أنّه توفّي بعد سنة 1223هـ، لوجود تقييد له في آخر جزء من كتاب «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لابن عطية، مذكور فيه هذا التاريخ، وكان ذلك بالمسجد الأقصى (**الأزهرية، رقم 3330 تفسير/92914 المغاربة، صفحة 110**)، لهذا فمن الرّاجح أن تكون وفاته ببيت المقدس، والله أعلم.

3- آثاره العلمية:

اقتصرت –في حدّ بحثي- آثار الشيخ محمد بن خالد على استنساخ الكتب والرسائل، أو التقييدات التي كان يقيّدها من كتب أهل العلم، فكانت أكثر تقييداته من كتاب «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي، وتقييدات من شرحي القسطلاني والبرماوي لصحيح البخاري، أو تقييدات من كتاب «تمييز الطيب من الخبيث»، وغيرها من الكتب، بل نجده أيضا يضع بعض التعليقات والتحريرات على الكتب التي يملكها، ومن ذلك ما كتبه في نسخة من جزءٍ لصحيح البخاري، وفيها: «قرأتُ هذا المجلّد مرتين، مرة ببغداد في حضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، ومرّة بعد ذلك بالمسجد الأقصى، وأنا الفقير صاحب الكتاب محمد بن خالد العُنّابي المغربي، نفعه الله تعالى بالقرآن والسنة» (**الأزهرية، 6058 حديث/93147 المغاربة، صفحة 206**).

لكن مع ندرة تأليفه، إلّا أنّ الشيخ محمد بن خالد ترك عدّة تحريرات، كان يكتبها في هوامش الصفحات، فكان يشرح تارة، ويتعقّب تارة أخرى، وكانت تلك التحريرات تنمّ عن معرفة وفهم من الشيخ محمد بن خالد، وقد جمعتُ بعض تلك التحريرات التي كتبها في كتبه التي تملّكها، ومنها:

1.3- تحريرات في العقيدة:

- ذكر الشيخ محمد بن خالد العنابي شرح أبي حامد الغزالي لاسم الله عزّ وجلّ "القيّوم" حيث قال إنّه القائم بذاته المقيم لغيره، ثم ذكر قول الكرماني الذي قال إنّ على هذا التفسير تكون صفة مركّبة من صفة ذات وصفة فعل، فتعقّب العنّابي شرح الكرماني، فقال: لو قال "جامعةٌ" كان أسلم، أو اسمٌ جامعٌ ودالٌّ على صفة ذات وصفة فعل، تحرير العنّابي (**الأزهرية، 7021 نحو/97054 المغاربة**).
- كتب الشيخ محمد بن خالد العنابي على هامش إحدى صفحات رسالة شيخه ابن بدير المقدسي «منهج الحق المطلوب في تنزيه الكريم يوسف بن يعقوب»، عند قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾[سورة يوسف، الآية: 24]، ردّا على تفسير بعض المفسّرين، وفيه: وقد تعرّض لردّ هذا الخطإ الجسيم العارف السنوسي، والخرّوبي، وسيدي عبد الرحمان الفاسي، وسيدي عبد العزيز الدبّاغ، والفخر الرازي، والشيخ عبد السلام الراوي تلميذ ابن الحاجب، وغيرهم من العلماء العارفين الذين لا يعوّلون على تاريخ

[...]، ومن حَقَّقَ «الشِّفَا» وتأمّله، عرف حقوق النبوءة واستحيا من الله أن ينسب لأنبيائه نقصًا ممّا ظهر وممّا خفي، وتنزيههم عن هذا الزعم المزعوم هو عقيدتنا وعقيدة من أخذنا عنه كالشيخ سيدي أحمد السوسي، والشيخ سيدي أحمد الغجاتي، والشيخ سيدي صالح وغيرهم، ومهما قرّروا مثل هذا المحل، تراهم يحذرون تفسير البيضاوي والخازن وأبي السعود وأمثالهم، ويقولون إنّ هؤلاء المفسّرين لم يتعرّضوا لتفسير هذه القصص بطريق التوحيد، وإنّما فسّروها بطريق التواريخ التي يردّها علم التوحيد (**الأزهرية، رقم 1958 مجاميع/ 97504 المغاربة، صفحة 38**).

2.3– تحريرات في التفسير:

من هامش كتاب أحكام القرآن لابن الفرس الأندلسي:

- قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[سورة التوبة، الآية: 29]:

قال الشيخ العنّابي: «فادعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلّا فالجزية، فإن أعطوا وإلاّ فقاتلهم»، يدلّ على كفّ المسلمين عن قتالهم إذا بذلوا الجزية، وأمّا حديث عيسى ابن مريم، فهو دليل على أنّ حكم الجزية ينتهي إلى ذلك الوقت، تحرير العنّابي (**الأزهرية، رقم 3314 تفسير/ 92898 المغاربة، صفحة 38**).

- قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[سورة طه، الآية: 12]:

تعقّب الشيخ العنّابي قول ابن الفرس بأنّ نَعْلَيْ موسى عليه السلام كانتا من جلد حمار، ولهذا طلب الله منه خلعها، فقال: وكيف يحتاجُ إلى جلد حمار في غنم شعيب، فإذا أمر الله بتنزيه الواد من جلد الحمار، فتنزيه رِجْلَي الكليم موسى أولى، فتعيّن عدم صحّته، ودخول المساجد بالنعال وإباحته. والحقّ الذي رأيتُهُ أنّ الله أمره بخلع نعليه ليزداد الواد شرفا برجلي الكليم موسى، هكذا سمعته من بعض المشايخ، ورأيتُهُ بعد ذلك في تفسير أبي السعود، وهذا هو الذي نعتقده في معنى الآية، تحرير العنابي (**الأزهرية، رقم 3314 تفسير/ 92898 المغاربة، صفحة 63**).

- قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[سورة الحج، الآية: 46]:

ذكر ابن الفرس أقوال العلماء في مكان العقل أهو القلب أم الدماغ؟ ثم قال إنّ هذه المسألة ممّا يصعب الاحتجاج على تصحيحها بالسمع لأنّها معقولة.

فتعقّبه الشيخ محمد بن خالد العنابي فقال: الاستدلال عليها بالسمع هو السهل، لأنّه إمّا كلامُ الذي خلق العقل وعَلِمَهُ أين يكون قبل وجود العقل، وإمّا خبرٌ نبويٌّ، وحيٌ من الله، وهذا لا شكّ في قوله، وأمّا العقل المخلوق فهو يدركُ بتقدير الله وتسييره، ولم يدرك العقل موضعه تعجيزا من الله له، ليعلم أنّ مردّه ليس منه كما عجز عن أمور كثيرة وعلمت بطريق السمع، انتهى تحرير (**الأزهرية، رقم 3314 تفسير/ 92898 المغاربة، صفحة 69**).

- قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ ثم قال في آخر الآية: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾[سورة سبأ، الآيتان: 53-54]:

قال ابن الفرس بصيغة التبعيض: احتج بهذه الآية بعض المفسرين على أن الشاكّ كافر ، وردّ بها على من زعم أنه ليس بكافر، وأنّ الله لا يعذب على الشكّ.

فتعقّبه العنابي، فقال: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾[سورة إبراهيم، الآية: 10]، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾[سورة النمل، الآية: 66]، ﴿إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾[سورة سبأ، الآية: 21]. هذه الآيات مع غيرها من الآيات دالّة على كفر الشاكّ، والإجماع منعقد على كفر الشاكّ، وصرّحوا بكفر من شكّ في كفر الشاك، تحرير (**الأزهرية، رقم 3314 تفسير/ 92898 المغاربة، صفحة 100**).

- قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي﴾ [سورة يس، الآية: 69]:

قال الشيخ العنابي: الوزنُ الذي في آيات من القرآن ليس من أوزان الشعر، وإنّما رؤوس آيات كالسجع، ونظم القرآن حارت فيه البلغاء، لم يكن معهودا عندهم لا سجعا ولا شعرا (**الأزهرية، رقم 3314 تفسير/ 92898 المغاربة، صفحة 100/ب**).

- قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [سورة ص، الآية: 21]:

قال ابن الفرس: ذكر المفسرون أنّ ظنّ داود واستغفاره ومغفرة الله تعالى له لأجل أنّه رأى امرأة فأعجبته فأخرج زوجها في الغزو، فقُتِلَ فتزوّجها. وقال بعضهم لم يتزوجها ولكنّه سأله أن ينزل له عنها. وهذا على قول من يجوّز على الأنبياء الكبائر.

فتعقّبه العنابي بالقول: أجمعت الأمة على عصمتهم من الكبائر، صرّح به غير واحد **(الأزهرية، رقم 3314 تفسير/ 92898 المغاربة، صفحة 102)**.

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [سورة التحريم، الآيتان: 1-2]:

قال الشيخ العنابي: ولا يصحّ من النبي صلى الله عليه وسلّم أنّ يحرّم بغير يمين، للعصمة، ولقوله: «إِنِّي لَا أُحَرِّمُ حَلَالًا، وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا». أمّا الحديث الذي رواه مسلم وسياق الآية يدلّ على التحريم باليمين حيث قال: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾، تحرير العنّابي **(الأزهرية، رقم 3314 تفسير/ 92898 المغاربة، صفحة 130/ب)**.

من هامش تفسير ابن عطية:

- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(77)﴾ [سورة الأنعام، الآيتان: 76-77]:

قال ابن عطية: ولفظ هذه القصة يحتمل أن تكون وقعت له في حال صباه وقبل بلوغه كما ذهب إليه ابن عباس.

فتعقّبه العنّابي قائلا: قوله في خلال صباه، وقوله قبل البلوغ، كلّ ذلك لا يصحّ لأنّه معصوم وهو في بطن أمّه، كما هو معصوم بعد البلوغ، وكما هو معصوم بعد النبوءة، اعتقادا وعملا كما حرّره القاضي عياض والشيخ السنوسي وغيرهما. تحرير الفقير العنّابي **(الأزهرية، رقم 3319 تفسير/ 92903 المغاربة، صفحة 39)**.

- قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: 122]:

قال ابن عطيّة: وقالت طائفة إنّ هذه الألفاظ التي مثّل بها وإن كانت تعمّ كل مؤمن وكلّ كافر فإنّما نزلت في مخصوصين، فقال الضحاك: المؤمن الذي كان ميتا فأحيي عمر بن الخطاب، وحكى المهدوي عن بعضهم أنه حمزة بن عبد المطلب، وقال عكرمة: عمار بن ياسر، وقال الزجّاج: جاء في التفسير أنه يعني به النبي عليه السلام.

فتعقبّ الشيخ العنابي التفسير الذي ذكره ابن عطية عن الزجّاج: أقولُ لا يصحّ لأنّه لم يكن ميّتا فأحياه الله، لأنّ إيمانه دائمٌ قبل وبعد تحرير، إلّا أن يُؤَوَّل بإحياء دعوته بالتمكين والفتوحات، وهو بعيد من سياق الآية أيضا (**الأزهرية، رقم 3319 تفسير/ 92903 المغاربة، صفحة 62**).

3.3- تحريرات في شرح الحديث

ذكر الشيخ العنّابي أقوال بعض العلماء في شرح حديث ولوغ الكلب في الإناء، ثمّ قال: الأمر بتكريم المسجد في القرآن، قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ [سورة النور، الآية: 36] والأحاديث كثيرة، وكيف يتركون الكلاب تدخل المساجد بعدما سمعوا قوله صلى الله عليه وسلّم: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلبٌ، تحرير العنّابي» (**الأزهرية، رقم 3330 تفسير/92914 المغاربة، صفحة 1/ب**).

وذكر أيضا مقتطفا من شرح القسطلاني لكتاب النكاح في باب ما يحلّ من النساء وما يحرم، وهو قوله إنّ الخالات هنّ أخت كلّ أنثى ولدتك بواسطة أو بغيرها. ثمّ قال بعدها: أقول – وأنا الفقير العنّابي- وبهذا صحّة حديث ابْنَي الخالة، يعني سيّدنا يحي وعيسى، لأنّ أمّ مريم أختُ أمّ يحي، بخلاف من ادّعى تقرير التجوّز في ابني الخالة لأنّه لم يفهم معنى الخالة (**الأزهرية، رقم 6068 حديث/ 93157 المغاربة، صفحة 1**).

خاتمة:

كانت هذه الورقة دراسة تطبيقية لكيفية الاستفادة من علم الكوديكولوجيا في الترجمة للشيخ محمد بن خالد العنّابي الجزائري، وذلك من خلال جمع كتبه التي تملّكها بالاقتناء أو بالنسخ، وقد سمحت القيود الموجودة في تلك الكتب بمعرفة الرحلات العلمية التي قام بها الشيخ محمد بن خالد العنّابي والبلدان التي زارها، بل وفي بعض المرّات معرفة المدّة التي قضاها في كلّ بلد.

ومع ندرة الكتب التي الترجمة لهذا العَلَمِ الذي لم يذكره -في حدّ علمي- من معاصريه سوى الشيخ مرتضى الزبيدي، كان من الصعب الإحاطة بحياته كلّها خاصة ما تعلّق بالجزائر، لكن هذه الورقة استطاعت أن تجلّي ولو شيئا قليلا من حياته، مستفيدة من الدراسة المادية للمخطوطات التي تملّكها الشيّخ العنّابي، خاصة ما تعلّق بخوارج النصّ من تحريراته وتقريراته على هوامش الصفحات.

قائمة المصادر والمراجع:

أ– الكتب

1. فرونسوا ديروش، (2005م)، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.
2. أيمن فؤاد سيّد، (1997م)، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، مصر.
3. عبد الستار الحلوجي، (1989م)،– المخطوط العربي، مكتبة الصباح، السعودية.
4. محمد محفوظ، (1994م)، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، لبنان.
5. عبد الحي الكتاني، (1982م)، فهرس الفهارس، دار الغرب الإسلامي، لبنان.
6. عبد الرزاق البيطار، (1993م)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، دار صادر، بيروت.
7. إسماعيل البغدادي، (بدون تاريخ)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار إحياء التراث العربي، لبنان،.
8. عمر رضا كحالة، (بدون تاريخ)، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
9. مرتضى الزبيدي، (2006م)، المعجم المختص، دار البشائر، لبنان.
10. مجموع بالمكتبة الأزهرية تحت رقم: (1905 مجاميع) 97451 المغاربة.
11. جزء مخطوط من صحيح البخاري بالمكتبة الأزهرية تحت رقم: (6058 حديث) 93147 المغاربة.
12. نسخة من كتاب "المجتبى" بالمكتبة الأزهرية تحت رقم: (6147 حديث) 93236 المغاربة.
13. نسخة من "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"– المكتبة الأزهرية تحت رقم: (3330 تفسير) 92914 المغاربة.
14. مخطوط "شرح المكودي على ألفية ابن مالك"– المكتبة الأزهرية تحت رقم: (7021 نحو) 97054 المغاربة.

15.مجموع بالمكتبة الأزهرية تحت رقم: (1958 مجاميع) 97504 المغاربة.
16.عبد المنعم ابن الفرس- أحكام القرآن - المكتبة الأزهرية تحت رقم: (3314 تفسير) 92898 المغاربة.
17.عبد الحق ابن عطية- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- المكتبة الأزهرية تحت رقم: (3319 تفسير) 92903 المغاربة.
18.نسخة من صحيح البخاري- المكتبة الأزهرية تحت رقم: (6068 حديث) 93157 المغاربة.

ب- المقالات

19.عبد الواحد جهداني- قيد الختام أو قيد الفراغ محاولة لدراسة في ضوء علم المخطوطات- مجلة دراسات- الأردن- المجلد 12- العدد 12- ص 133- 143.

ملاحق:

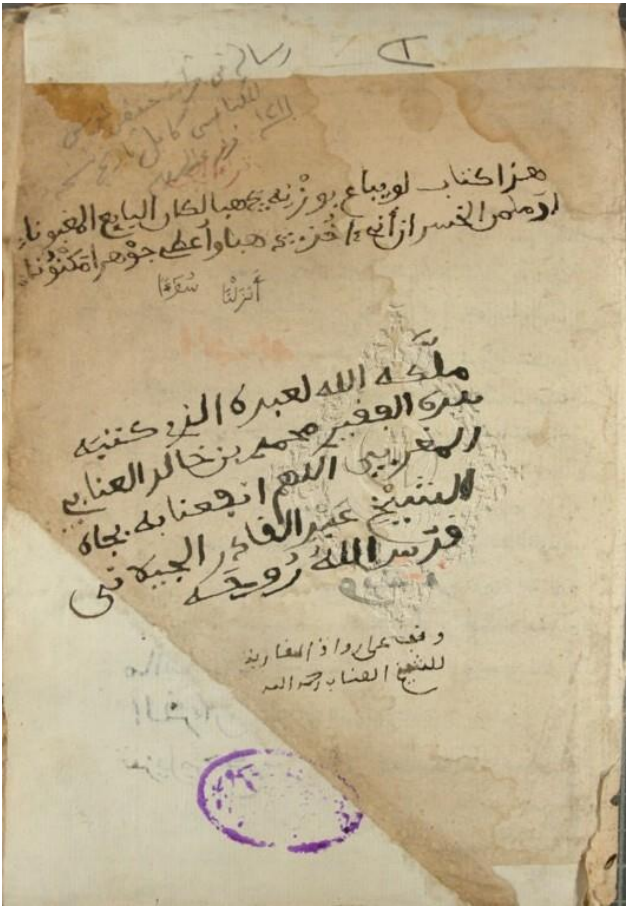

الصفحة الأولى من مجموع رسائل بخط الشيخ محمد بن خالد العنابي

صفحة من كتاب ابن الفرس عليها تعليقات الشيخ محمد بن خالد العنابي

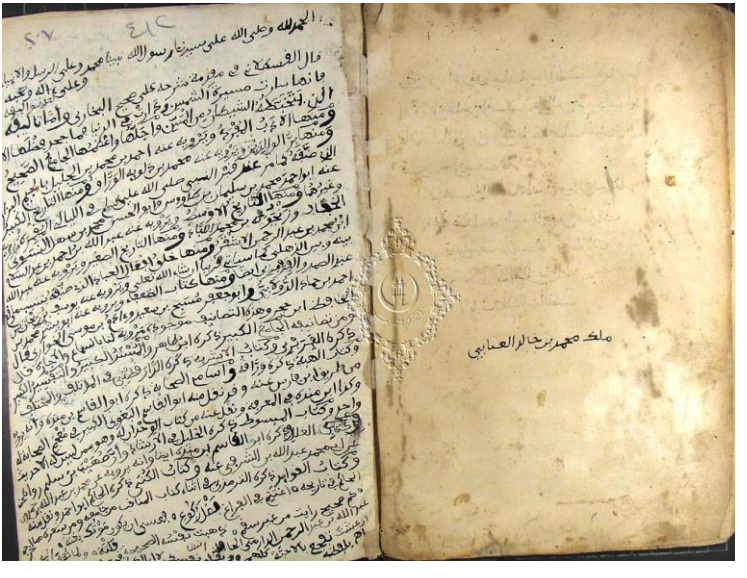

نسخة من البخاري عليها تملّك الشيخ محمد بن خالد العنابي وبعض التقييدات